بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد:

اهتم نحاتنا العرب منذ القديم باللغة العربية وقدّسوها باعتبارها لغة القرآن الكريم، فاهتموا بدراستها و وضعوا لها القواعد حتى تُحفظ الألسنة الناطقة بها من الزلل، وحتى يتجاوز الناطقون بها اللحن وهم يقرأون القرآن الكريم. ولوضع هذه القواعد كان على أولئك النحاة أن يَرجعوا إلى مصادر موثوقة لينهلوا منها ويستشهدوا بها، وتمثلت هذه المصادر في القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف ،وكلام العرب من شعر ونثر، حيث حدَّدوا القبائل التي يُؤخذ عنها، فكانوا كلّما استعصت عليهم قاعدة نحوية ،لجأوا لهذه المصادر ليستشهدوا بها ويدعموا بها آراءهم وقواعدهم ،إلا أن هؤلاء النحاة كانوا يفضلون الاستشهاد بكلام العرب الأقحاح البعيدين كل البعد عن باقي الأمم الأجنبية، في حين قلَّ استشهادهم بالقرآن الكريم ؛وهوكلام الله المقدس، الذي لا يُعلى عليه أي كلام، والأمر نفسه مع الحديث النبوي حتى جاءالأندلسيون وبخاصةٍ المتأخرين منهم.

وبما أن موضوع الشاهدالنحوي في اللغة العربية،هو موضوعٌ واسعٌ وشيّقٌ، ويحمل الكثير من الآراء النحوية، ارتأيت أن أبحث فيه لأقدّم دراسة مبسطة تكون حلقة جديدة تضاف إلى سلسلة البحوث المنجزة في هذا المجال،وما دفعني إلى اختيار هذا الموضوع هو:

ـ ندرة الدراسات والبحوث التي تناولت الشاهد من الحديث.

ـ ميولي إلى دراسة وتتبع الشواهد النحوية المعتمدة من قبل النحاة المشارقة والمغاربة في تقعيدهم للنحو العربي.وكذا شغفي لمعرفة الأسباب التي دفعت النحاة الأندلسيين إلى الإكثار من الاستشهاد بالأحاديث .

فانطلقتُ في هذه الدراسة من مجموعة من التساؤلات ، حاولت أن أجيب عنها في بحثي، و تمثّلت في :

_ما موقف النحاة الأندلسيين من الأخذ بأصول النحو عامة وبالحديث النبوي خاصة؟

_ لماذا لم يَجر علماء الأندلس من النحاة مجرى سابقيهم من مدرستي البصرة والكوفة في عملية الاستشهاد بالحديث النبوي وغيره من شواهد النحو؟.

_ ما السر في عدم استشهاد النحاة القدامى بالحديث النبوي الشريف ؟ وهل نحاة الأندلس أنفسهم اتفقوا في قضية الاستشهاد بالحديث؟كلّ هذه التساؤلات سأحاول الإجابة عنها في متن البحث .

وبعد جمع المادة وتصنيفها، أفضى بي البحث إلى توزيعها وعرضها في مدخل وثلاثة فصول، استهللته بمقدّمة وذيّلته بخاتمة . أماالمدخل ،فوقفت فيه على مراحل الحكم العربي في بلاد الأندلس حتى يسهُل علي الاطلاع على الحياة الفكرية التي اتسمت بها كل مرحلة،وهذا ساعدني كثيرا على فهم عدة أمور ،من بينها :بمن تأثرعلماء الأندلس الأوائل وبخاصةٍ علماء اللغة والنحو،وهل كانوا تابعين في علومهم أم مجددين ؟

وأفردت الفصل الأوّل للحديث عن خلفية المدرسة الأندلسية، وقسَّمته إلى مبحثين، المبحث الأول كان للنحو: النشأة والتطوّر، أما المبحث الآخر، فكان للحديث عن المدارس النحوية التي مَهَّدت لظهور المدرسة الأندلسية، فتحدثت فيه عن نشأة هذه المدارس، مع ذكر بعض الأعلام من كل مدرسة،وأيضا حاولت أن أقف وقفة قصيرة على منهج كل واحدة منها ،ثم ختمته بالحديث عن بعض الأعلام الذين

كان لهم كبير الأثر في نشأة المدرسة الأندلسية ،وبعدها عرضتُ المنهج الذي تميزت به هذه المدرسة.

في حين خصّصت الفصل الثاني للكلام عن الاستشهاد اللغوي عند نحاة الأندلس، وتم ذلك في ثلاثة مباحث، خصصت الأول للحديث عن مناطق وعصر الاستشهاد،فوقفت فيه على هذا الأخير وحاولت أن أبين الفرق بينه وبين التمثيل والاحتجاج، ثم تطرقت إلى مناطق وعصر الاستشهاد، أما ثاني هذه المباحث فخَصّصته للحديث عن مصادر الاستشهاد عند نحاة الأندلس، والتي تمثلت في كلام العرب ، وفي القرآن الكريم،وفي الحديث النبوي الشريف؛ الذي ركزت عليه كثيرا؛ بحكم أنّه يُعدّ أهمّ خاصية ميّزت مَنهج المدرسة الأندلسية، مهّدتُ له بمقدّمة ضمَّنتُها تعريف الحديث، وأقسامه ودرجاته،بالإضافة إلى الوقوف على الأهمية التي نالها الحديث النبوي عند علماء الحديث و الدقّة التي اتبعوها في تدوينه، وهو ما جعل نحاة الأندلس يعتمدونه كأصل في التقعيد النحوي. كما تطرّقت في هذا المبحث إلى الحديث عن أوّل من تنبّه لظاهرة انصراف علماء النحو المتقدّمين عن الاستشهاد بالحديث، وكذا السبب في كثرة استشهاد نحاة الأندلس به، أمّا ثالث المباحث، فكان لعَرضِ مواقف نحاة الأندلس من الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف، والتي تنوّعت بين مجيز له، وبين معترض ومتوسّط.

أما الفصل الثالث فقد جاء بعنوان:الاستشهاد بالحديث في كتاب "شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح".ومثّل هذا الفصل الجانب التطبيقي من البحث،وقد وقع اختياري على هذا الكتاب؛ لأنّه من خيرة الأصول التي اهتمت بقضية الاستشهاد بالحديث، ومؤلِفه ابن مالك من خيرة علماء الأندلس ؛لِما عُرِف به من اجتهاد وتجديد في علوم اللغة ،حيث يعود له الفضل في تهذيب النحو العربي وإخراجه بشكله المتكامل الواضح بعيدا عن الغموض والتعقيد،وتناولته في مبحثين رئيسين، المبحث الأول كان لعرض منهج كتاب شواهد التوضيح ، تطرّقت فيه إلى

مادة الكتاب وأسلوبه، إضافة إلى طريقة البحث فيه ،ثم تحدثت عن الشواهد والاستشهاد في هذا المصنَّف، أما المبحث الثاني فخصّصته لذكر مواطن استشهاد ابن مالك بالحديث من خلال دراسة المسائل النحوية التي ناقشها في هذا المؤلَّفِ.

ثم أنهيت المذكرة بخاتمة لخصت فيها أهمَّ النتائج المتوصل إليها في هذا البحث.

و قد اقتضت طبيعة الموضوع أيضا تعدّد المناهج، فهذا الموضوع لا يمكن أن يَحصُر نفسه ضمن منهج علميّ واحد ؛ ذلك أنّ دراسة مصادر الاستشهاد في النحو الأندلسيّ لا بدّ لها من المنهج التاريخي؛ بحيث راعيت الترتيب الزمني في عرض آراء النحاة. إضافة إلى المنهج المقارن؛ الذي تطلّبه بيان كثرة الاستشهاد بالحديث عند الأندلسيين مثلا ، وقلّته عند غيرهم من نحاة المدارس الأخرى .والمنهج التحليلي الوصفي الذي يظهر في الفصل الثالث.

وقد استأنست في هذا البحث بجملة من المصادر والمراجع ؛ التي تنوعت بين القديم والحديث،:فمن القديم أذكر "الكتاب" لسيبويه، و"الإنصاف في مسائل الخلاف" للأنباري و "شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح" لابن مالك، وكتابَا: " تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد"و" شرح التسهيل " للمؤلف نفسه . إضافة إلى" أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك" لابن هشام الأنصاري، دون أن أنسى المكاتبة التي جرت بين بدر الدين الدماميني وسراج الدين البُلقيني، الموسومة: "الاستدلال بالأحاديث النبوية الشريفة على إثبات القواعد النحوية".

ومن الكتب الحديثة التي تناولت بالدراسة موضوع البحث أذكر: مؤلفات خديجة الحديثي، بخاصة كتاب "موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث"، وكتاب" أبو حيان النحوي"، إضافة إلى مؤلَّف لـــ ألبير مطلق، يحمل عنوان: "الحركة اللغوية في الأندلس منذ الفتح العربي حتى نهاية عصر الملوك الطوائف" ومؤلَّف لمحمود فجال ،بعنوان "الحديث النبوي في النحو العربي"، "، و كتاب لأحمد البنا، وسمَه: "السهيلي ومذهبه النحوي"، بالإضافة إلى محاضرات أستاذي المهدي بوروبة؛التي تلقيتها في

مراحل دراسية سابقة و التي أعانتني كثيرا في رسم خطة البحث، لا سيما ماتعلّق بالفصل الثاني.

أما الصعوبات التي واجهتني في هذا البحث، فتمثّلت في صعوبة التعامل مع كتب الحديث والمسانيد، إضافة إلى صعوبة الترجيح بين الروايات المختلفة والمتناقضة أحيانا، وأكبر صعوبة واجهتني في هذا البحث، هي قلة توفّر مؤلّفات نحاة الأندلس؛ مما خلق عندي إشكالا في تدعيم الجانب التطبيقي من هذا البحث.

وختاما أتقدّم بخالص الشكر والتقدير للأستاذ المشرف:الدكتور عبد الجليل مرتاض؛ الذي تكفّل البحث بالعناية والرعاية ،ولم يبخل علي بأي توجيه أومساعدة طوال فترة إعدادي لهذه المذكرة،فأسأل الله أن يبارك له في عمره وولده وماله.

كما أشكر أعضاء لجنة المناقشة الذين تكبدوا عناء قراءة هذا العمل وتقويمه،فجازاهم الله عني كل خير.

بتاريخ: 2010/04/01 .

سميرة جداين ـــ تلمسان ـــ